انتشار الإسلام في غانا بين القرنين 12 و 13هـ - 18 و 19م

د. شعباني نور الدين
جامعة خميس مليانة، الجزائر

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار سلاسة حركة انتشار الإسلام في منطقة الغابات الإفريقية، وبخاصة منطقة نهر الفولتا، التي بقيت شعوبها محافظة على وثنيتها ومقاومة لكل مدٍّ إسلامي إلى غاية القرن الثامن عشر، على الرغم من محاولات الممالك الإسلامية الإفريقية التي قامت في منطقة الساحل منذ القرن الثامن من أجل أسلمة هذه الشعوب.

ولقد كانت ممالك الموســي أشــد هذه الممالك عداوة للإســلام، ونخص بالذكر مملكة داغومبا التي ســنحاول إبــراز دور التجار المتنقليــن مثل الديولا واليارسي في إسلامها، وخاصةً بعدما تمكنوا من إقناع أول ملوكها نا زنجينا باعتناق الإســلام، كما سنحاول أن نبرز الميادين التي برز فيها التأثير الإســلامي في هذه المملكة.

كشفت لنا الدراسة أن انتشار الإسلام في مملكة الداغومبا اســتغرق وقتاً طويلاً علــى عكس ممالك الســاحل الإفريقي، إذ تم ذلك عــن طريق مجهودات فرديــة للتجــار المتنقلين مــن الديولا واليارســي، بالإضافة إلى دور الأئمة الفقهاء الذين كان لهم مكانة مميزة عند ملوك الداغومبا.

مقدمة:

يبدو أنه من الصعب التأكيد على ما قدّمه الداغومبا من أجل إسلام شعب الموســي، الذي يُعدّ مهد شعوب الموشــي في المناطق الجنوبية، فهناك من المؤرخين من يتحدث عن وجود مملكة داغومبا الإســلامية، بينما آخرون يقولــون إنه لا يوجد في مملكــة الداغومبا إلا بعض المظاهر الخاصة بالإسلام، ومهما يكن؛ فإن تلك المظاهر التي يتحدثون عنها ما هي في الحقيقة إلا تلك المؤثرات الإســلامية التي تركها التجار الداغومبا على مدى ســنوات طويلة من النشاط الدؤوب وسط الغابات الإفريقية التي بقيت بعيدة عن أي تأثير إســلامي لعدة قرون من وصول الإسلام إلى غرب إفريقيا.

لهــذا؛ فلقد كان موضوع دراســتنا هو انتشــار الإسلام في هذه المملكة بين القرنين ١٨ و١٩م، وهي الفترة التــي عرفت اعتناق الملك زنجينا الإســلام، وهو أول ملك مســلم يحكم المملكة الداغبون، ولقد عالجت هذا الموضــوع انطلاقاً من إشــكالية تقوم على التســاؤل الآتي: ما هي علاقة شعب الداغومبا بالإســلام، وما مدى تأثير ديانة التوحيد على مظاهر حياة هذا الشعب وهذه المملكة؟، ولقد حاولت أن أتبع منهجاً تاريخياً يقوم على استقراء النصوص التاريخية المكتوبة، وبخاصة الشفوية منها، والتي نقلها لنا بعض الرحالة والقناصل الأوروبيين.

(١) تعريف الداغومبا:

الداغومبا Dagomba هم شــعبٌ من الشعوب الأساســية لإفريقيا الغربية، اســتقروا أساســاً في شــمال غانا الحديثة في المنطقة التي تُسمى داغبون Dagbon، حيث إنهم هاجروا من منطقة بحيرة تشاد من أجل الاستقرار في شمال غانة الحالية في مملكة داغومبــا، وتقول الروايات الشــفوية إن هذه المملكة تأسست من طرف محارب يُسمى توهازي Tohazie، الذي وصل إلى شمال غانة الحالية مع فرسانه قادماً من شــرق بحيرة تشاد، وتوقف في إمارة زمفرة، وهي إحدى إمارات ممالك الهوســا شمال نيجيريا، قبل أن يستقر في شمال غانا الحالية، وهذه الروايات تتحدث عن وجــود عدة نزاعــات بين الداغومبا والشــعوب المجاورة قبل أن يسيطروا عليهم ويضموهم إليهم[١].

وينتمي الداغومبا إلى مجموعة شعب الموسي[٢]، بحيــث تُعدّ فرعاً من فروع شــعب الياتنغا الذي يُعدّ من أهم فروع شــعب الموسي، وينتمي الداغومبا إلى مجموعة من الشعوب الموســي التي تلقبها المصادر التاريخية الإنجليزية بمجموعة «مول داغبان» Mole Daghbane، وهي مجموعة بشــرية موســية تنتمي إلى نفس العائلة اللغوية، وهي: الغورمنشــي، نانكانا، الداكاري، البيريفــور، البورا، الكوساســي، النمنام، التالونسي، الوالا، المامبروسي، النانومبا والداغومبا، وهي مجموعة بشرية تقطن جزءاً كبيراً من جمهورية

(١) Michel Izard, Origine des Moosǎ:Un etat des Lieux, in: Espace scientifique, N°009, Octobre-Decembre 2007. Site: https://valere-some.blog4ever.com/origine-des-moose-un-etat-des-lieux.

(٢) حول شعوب الموسي والموشي؛ انظر: شعباني؛ نورالدين، طائفة اليارسي ودورها في ممالك الفولتا بين القرنين ١٦ و١٧ الميلاديين، المجلة التاريخية الجزائرية، مجلد٣، العدد٢، ديسمبر ٢٠١٩م، ص (١٠١-١٢٠).

غانا الحالية (ساحل الذهب سابقاً)، وتشكل ثلثي سكان هذه الدولة[١].

وبالنسبة للداغومبا؛ فإنهم يحتلون مع المامبروسي Mamprusi تقريباً كل المنطقة الموجودة في شرق نهر الفولتا الأبيض إلى غاية خط طول ٩ درجات غرباً، وخلال القرن السابع عشر ميلادي كانت مملكة الداغومبا وكونجا تقومان بغاراتٍ من حين لآخر على الشعوب التي تعيش بدون حاكم أو تنظيم سياسي، وتتخذها عبيداً، وتستولي على ماشيتها، وكانت هذه الغارات تشمل شعب كونكونبا Konkomba في غانا ومنطقة باسار Bassar في توغو[٢].

إن المجموعة اللُّغوية المعروفة بـ«مول داغبان» تنقسم إلى مجموعتين من حيث طريقة التنظيم السياسي، فهناك مجموعة الشعوب التي لا تعرف أي تنظيم سياسي، مثل: داغبان، بويلسا، فرافرا، والتالونسي التي لا تعرف أي قائد أو زعيم سياسي ولا أي سلطة مركزية، بينما تعيش ضمن مجموعات عائلية أو قروية، بينما المجموعة الثانية، التي تضم: الموسي، الداغومبا، المامبروسي، نانومبا والوالا، قد تمكنت من تأسيس مملكات ذات سلطة مركزية[٣].

٢- الداغومبا يؤسسون أول ممالك الموسي:

ويبدو أن الداغومبا كانوا أول من أسس مملكة مركزية في تاريخ شعوب الموسي، حيث تذكر الروايات الشفوية الخاصة بمنطقة نهر الفولتا أن أول ممالك الموسي أسسها أحد زعماء الداغومبا، وهو نيديغا[٤] Nedinga، وذلك من خلال تجميعه كلاً من الداغومبا والمامبروسي تحت سيطرته، ولم يكن لديه ابن ذكر يرث ملكه من بعده، بينما كانت لديه بنت محاربة تُسمى ينينغا Yeninga، وكانت هذه البنت تشبه الرجال في تصرفاتها، حيث كانت تغزو وتنهب وتسلب، وكان والدها يرفض تزويجها مخافة أن تتحول إلى أمّ وتفقد قوتها ولن تستطيع قيادة الجيوش. وفي إحدى الأيام بينما كانت في إحدى غزواتها فزع حصانها بسبب ألم في أسنانه، وانطلق بها بعيداً عن جيشها ولم يتوقف، وأخذها إلى داخل غابة، حيث توقف قرب كوخ لأحد الصيادين يُسمى ريالي أو «رياري»، وهو ابن أحد الزعماء المالنكي[٥].

تعلقت يانغا بالصياد المالنكي، واستقرت للعيش معه، وأنجبَا طفلاً أطلقَا عليه اسم ويديراوغو Ouidiraogo، والتي تعني بلغة الداغومبا والموسي (الحصان الذكر)، وعندما أصبح هذا الأخير شاباً أرسلت والدته ينينغا رسالة لوالدها نيديغا تخبره بأنه أصبح جدّاً، فرحّب بهم في مملكته، لكنهما رفضَا العيش معه وعادَا للعيش في الغابة، كما منحهم نيديغا جيشاً من الداغومبا لحماية حفيده، وبعد وفاة والدته يانغا أصبح ويديراغو قائداً ومحارباً كبيراً، فقام

(١) Zahan Dominique. Pour une histoire des Mossi du Yatenga. In: L'Homme, 1961, tome 1 n°2. pp.5-22.

(٢) Christopher R. De Corse,West Africa During the Atlantic Slave Trade: Archaeological Perspec- tives, edited by cristopher R. De Corse, Leicester University press London and New york, 2001, p.69.

(٣) Levtzion Nehemia, Godneff Nina. Commerce et islam chez les Dagomba du Nord-Ghana. In: Annales. Economies, sociйtйs, civilisations. 23 e annйe, N. 4, 1968. pp. 723-743; doi: https://doi.org/10.3406/ahess.1968.421956 https://www.persee.fr/doc/ahess_0395_2649_1968_num_23_4_421956

(٤) هذا اسمه عند الروايات الخاصة بالموسي، أما عند الروايات الشفوية الخاصة بالمامبروسي فيُعرف باسم باوا Bawa، كما يُعرف عند الروايات الخاصة بالداغومبا باسم غبيوا Gbйwa.

(٥) تقول الروايات الشفوية المحلية إن «ريالي» هرب من مملكة أبيه بسبب خلاف على العرش مع أخيه، فاتجه نحو الغابة ليصطاد الفيلة.

بتأسيس مملكته الخاصة به[١].

لما سمع الموسي والداغومبا بهذه المملكة الصغيرة؛ بدؤوا يلتحقون بها وينتظمون تحت لوائه وطاعته، خاصة لما يكتسيه ويديراغو من شهرة عند تلك الشعوب، والمكانة التي كانت تحتلها والدته عندهم، فتوحد الموسي تحت سلطته، وكان له عدة أبناء، منهم ثلاثة ذكرتهم الروايات الشفوية، وهم زونغورانا، راوا وديابا، حيث منح كل واحد منهم قيادة مقاطعة من مملكته، وبعد وفاة ويديراغو ترك أبناء كثيرين، ومنهم تشكل زعماء الممالك والمقاطعات الموشية، لكن واحداً منهم الذي يُسمى زونغورانا خلفه على عرش المملكة، وعيّن ابنه اوبري في قيادة مقاطعة الغرب، ولما أصبح رجلاً قام اوبري بالهجوم على جميع الأراضي الغربية ووحّدها تحت سيطرته، وكوّن منها مملكة واحدة، وذلك سنة ١٠٥٠م- حسب موريس دولافوس[٢]، ونفس الشيء فعله ابن ويديراغو «راوا» باتجاه الشمال الغربي، ونفس الشيء بالنسبة لديابا، وبذلك تأسست ممالك الموسي الثلاث التي تفرعت كلها من سلالة ويديراغو، وهذه الممالك الموشية حتى إن لم تكن بنفس شهرة وحضارة الممالك الإسلامية، مثل غانا ومالي وسنغاي، لكنها كانت منظمة وقوية[٣].

ونستنتج من هذه الرواية أن المملكة التي أسسها

كانت إستراتيجية اليارسي في نشر الإسلام ببلاد الموسي ناجحة جداً، بحيث إنه لم يحل النصف الثاني من القرن 12هـ/18م حتى أرسى الإسلام مكانه كديانة رسمية بالقصر الملكي لملك الموسي

ويدريغو هي مملكة قامت على سواعد الداغومبا، فالزعيم الأسطوري المؤسس هو نيدينغا، وهو من الداغومبا، كما أن ويدريغو لم يتمكن من بناء قوته ودولته إلا بفضل الجيش من الداغومبا الذي أرسله له والده لحمايته ورعايته، وهو ما يبين لنا أن الداغومبا هم أصل تأسيس الممالك الموسية المتفرعة عن ويدريغو.

وعموماً؛ فإن الداغومبا كوّنوا فيما بعد مملكتهم الخاصة بهم في منطقة داغبون عن طريق زعيم يُدعى سيتوبو Sitobou حوالي سنة ١٤٠٠م[٤]، واتخذ من ياندي عاصمة للداغومبا[٥]. كما عمل خلفاء سيتوبو على توسيع رقعة مملكة الداغومبا على حساب جيرانهم باتجاه نابار غرباً، وجنوباً باتجاه يندي دابار التي اتخذوها عاصمةً لهم، ومنها انطلقوا لشنّ غارات

(١) Delafosse (Mqurice), Haut senegal-Niger, Emile larose librairie- йditeur, Paris, 1912, Tome1, p.308.

(٢) هذا التاريخ غير دقيق، وتم تحديده بناء على تخمينات وتحليلات فقط. فهناك روايات أخرى تقول إن ذلك حدث سنة ١١٠٠م.

(٣) Tiendrebeogo Yamba. Histoire traditionnelle des Mossi de Ouagadougou. In: Journal de la Sociйtй des Africanistes, 1963, tome 33, fascicule 1. pp.7-46; http://www.persee.fr/doc/jafr_0037_1963_9166_num_33_1_1365; Delafosse, Haut Sйnйgal-Niger, tome2, p.122.

(٤) هذا التاريخ غير دقيق، ويوجد بشأنه جدل بين المؤرخين، لهذا يرجح أن تكون نشأة هذه المملكة بين ١٣٠٠ و١٤٠٠م. انظر: Mustapha Abdul-Hamid (University of Gold Cost), Islam Politics and developement and negotiating, The futur of Dagbon, in: Journal of African Culture & Civilisation, Vol 4, 2011 pp.47-62.

(٥) نورالدين شعباني، طائفة اليارسي ودورها في ممالك الفولتا بين القرنين ١٦ و١٧ الميلاديين، مرجع سابق، ص١١١.

على حساب جيرانهم الضعفاء بغرض توسيع مملكة والدهم[١].

وكان الداغومبا على غرار بقية الشعوب الموشية وثنيين، بحيث بقي الداغومبا منعزلين وبعيدين في كثيرٍ من الأحيان عن تأثيرات الديانات السماوية القادمة من الشمال، وفي أحيانٍ أخرى حاربتها ورفضتها، حيث كانت الأرض عندهم هي بمثابة الوسيط بين العباد والآلهة، وبالتالي هي من تحفظ لهم الرزق والصحة حسب اعتقادهم، وهي من تضمن لهم التواصل مع الأموات، فالأموات أو الأجداد وأرواحهم يمثلون بالنسبة للموشي الخط الموازي بين الحياة الدنيوية المرئية والحياة الأخرى الغيبية، كما أن أرواح الأجداد عندهم هي من ترزقهم بالخصوبة وإنجاب الأطفال، كما أنها تزور الأحفاد وتراقبهم[٢].

٣- العلاقة التاريخية للداغومبا بالإسلام:

إن ما توفر لنا من مصادر عن الموشي عموماً، والداغومبا الذين كانوا يشكلون أهم عنصر منهم، تُبين أنهم كانوا أشد شعوب السودان الغربي عداوة للإسلام، وأشدها جرأة وخطورة على الممالك السودانية الإسلامية التي عاصرتهم، حيث أغاروا على مملكة سنغاي[٣]، كما هجموا بجيش عظيم على مملكة مالي في عهد حكم الإمبراطور منسا مغا خليفة الملك منسا موسى سنة ١٣٣٣م، حيث غزوا مدينة تمبكتو التي كانت من أعظم حواضر الإمبراطورية المالية، فأجبروا أهلها على الفرار وترك مدينتهم لنهب جيوش الموشي، فدخلها الموشيون وأحرقوها وخربوها، وقتلوا من قتلوا ونهبوا ما فيها من أموال[٤]. كما وصلوا إلى غاية مدينة جني قبل أن يتم إيقافهم وإعادتهم من حيث أتوا من طرف ملك سنغاي سني علي سنة ١٤٨٣م. وبعد ذلك بخمس عشرة سنة من هذه الأحداث أعلن الأسقيا الحاج محمد توري الجهاد على ممالك الموشي وهزمهم، ولكنهم رفضوا اعتناق الإسلام متحججين برفض أرواح أجدادهم لدخول الإسلام حسب زعمهم، وحسبما أخبرنا بذلك عبد الرحمن السعدي في تاريخه[٥]، وهكذا بقي الموسي والداغومبا من أشد الشعوب التي قاومت حركة الإسلام في غرب إفريقيا.

إن النزعة المقاومة للإسلام من طرف الموسي والداغومبا رغم حركة انتشار الإسلام التي عمّت الممالك والإمبراطوريات الإفريقية، من القرن الخامس للهجرة/١١م إلى غاية القرن التاسع للهجرة/١٦م، إنما سببها الطابع السلمي والهادئ الذي اتخذته حركة انتشار الإسلام في إفريقيا، فلقد كان أول احتكاك للموسي بالإسلام مع وصول طائفة التجار اليارسي[٦] المسلمين مع بداية القرن العاشر للهجرة/١٦م، وتقربوا من ملك الياتنغا «نابا دولوغو» Naaba Dulugu، وصاهروه، وتزوجوا إحدى بناته، وساعدهم في ذلك تحكمهم في التجارة والطرق والمسالك، وهو ما يساهم في حماية القوافل التجارية للمملكة، بالإضافة إلى تحكمهم في صناعة

(١) A.A. Illasu (Lecturer in the History Department, Legon.), The Origins of The Mossi-Dagomba states, The African e-Journals Project, Michigan State University Library, in: http://digital.lib.msu./edu/projects/africanjournals

(٢) Labilia Yoda, La traduction mйdicale du Franзais vers le Moorй et le bisa, universitй de Gromingen, 2005, p.33.

(٣) محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس. طبعة هوداس وموريس دولافوس، المكتبة الأمريكية والشرقية، باريس، ١٩٦٤م، ص٨٥.

(٤) عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، ١٩٦٤، ص٨.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص٧٤.

(٦) حول اليارسي ودورهم في نشر الإسلام في ممالك الموسي؛ انظر: نور الدين شعباني، طائفة اليارسي ودورها في ممالك الفولتا بين القرنين ١٦ و١٧ الميلاديين، مرجع سابق، ص (١١١، ١١٢).

القطن والنسيج والزراعة، وهو ما جعلهم يحتلون مكانة مرموقة داخل هرم السلطة الموشية وقصر الملك نابا دوغولو[١]. وهكذا سيطروا على تجارة الملح في الشمال، وتجارة الكولا والذهب باتجاه الجنوب، وتمكنوا من نشر الإسلام وتطبيق مشروعهم الإصلاحي الذي انطلق من نقطة قوة، ألا وهي القصر الملكي.

لقد كانت إستراتيجية اليارسي في نشر الإسلام ببلاد الموسي ناجحة جداً، بحيث إنه لم يحل النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة/١٨م حتى أرسى الإسلام مكانه كديانة رسمية داخل القصر الملكي لملك الموسي في واغادوغو «مورو-نابا» Moro-Naba، كما أن هناك عدداً معتبراً من قادة المملكة وأبنائهم اعتنقوا الإسلام، بعضهم أسلم حقاً، وبعضهم كان إسلامه سطحياً، بعد ذلك ازدادت وتيرة الإسلام عند الموسي خلال فترة الاحتلال نتيجة الهجرات الموسمية للموسي باتجاه ساحل الذهب (غانة الحالية)، واحتكاكهم بالمسلمين هناك[٢].

وعلى الرغم من هذه الحركة الواسعة للإسلام التي مسّت شعب الموشي؛ فإن الداغومبا والدويلات المجاورة لهم بقوا بعيدين عن دائرة الانتشار السريع للإسلام التي عرفها بقية الموشي، فالمسلمون كانوا أقلية في مملكة الداغومبا لكن تأثيرهم كان أكبر من عددهم[٣].

٤- انتشار الإسلام في مملكة داغومبا:

هناك جدلٌ كبير بين المؤرخين حول مدى انتشار الإسلام في مملكة داغومبا، فهناك روايات تذهب إلى أن مملكة الداغومبا عرفت، خلال القرن الثاني عشر للهجرة/١٨م، في احتفالاتها وعاداتها وأسماء الأشخاص الكثير من المظاهر الإسلامية، وهناك من يعتقد بأن هذه التأثيرات جلبها المؤسسون الأوائل لهذه المملكة، الذين قدموا إليها من الشمال الشرقي (بلاد الهوسا المسلمة)، وفرضوا تقاليدهم باعتبارهم أسياد الأرض، لكن هؤلاء الزعماء السياسيين كان إسلامهم سطحياً بعدما تخلوا عن الكثير من المبادئ الإسلامية واعتنقوا بعض المعتقدات الوثنية المحلية، رغم أن أحد أجدادهم الملوك تذكر الروايات الشفوية أنه أدى فريضة الحج إلى مكة[٤]، لكن مهما يكن فكل الروايات الشفوية المستقاة من الداغومبا كلها لا تكاد تتحدث عن الإسلام في مملكتهم قبل بداية القرن الثاني عشر للهجرة/١٨م، لكن هذا لا يعني أن الإسلام كان غائباً تماماً في مملكة الداغومبا بقدر ما يعني أن المسلمين هناك كانوا أقلية، وأن تأثيرهم كان ضعيفاً.

أ - دور التجار المتنقلين (الديولا واليارسي):

فبلاد الداغومبا تنقسم إلى قسمين هما: داغومبا الغربية المعروفة باسم توما Toma، وداغومبا الشرقية المعروفة باسم نايا Na ya، وإلى غاية نهاية القرن الحادي عشر للهجرة/١٧م كانت سلطة الداغومبا تتمركز في الغرب، وكانت عاصمتها يندي-داباري Yendi- Dabari الواقعة على ضفة نهر الفولتا الأبيض، تشكّل معبراً مهماً للطرق التجارية التي تحمل الذهب القادم من مملكة بونو- منسو[٥]

---

(١) Claudette Savonnet-Guyot, Йtat et sociйtйs au Burkina: essai sur le politique africain, KARTHALA Editions, 1986, p.120.

(٢) Levtzion Nehemia, Godneff Nina. Commerce et islam chez les Dagomba du Nord-Ghan, Op.Cit, p.724.

(٣) Jean Audouin, Raymond Deniel, L'Islam en Haute-Volta a l'йpoque coloniale, Editions L'Harmattan, Paris, 1978, p.16.

(٤) Levtzion Nehemia, Godneff Nina, Op.Cit, p.726.

(٥) كانت بونو منسو (أو بونومان) دولة تجارية أنشأها شعب بونو، وتقع فيما يُعرف الآن بجنوب غانا، كانت تشكل أول مملكة للأكان في القرون الوسطى، وهم عموماً أصل المجموعات الفرعية لشعب الأكان الذين هاجروا في أوقات من أجل إنشاء ولايات أكان الجديدة بحثاً عن الذهب، وقد ازدهرت بها تجارة الذهب في أوائل القرن ١٢ ميلادي.

Bono-Mansu التي تُعدّ أول مملكة لشعب الأكان في منطقة الغابات الاستوائية، فهذا الذهب كان يصل إلى غاية مدينتي جني وتنبكتو، كما أن هذا الطريق الذي كان يؤمنه الداغومبا والمامبروسي هو الطريق الذي سلكه فيما بعد (بداية من القرن التاسع الهجري/١٥م) التجار اليارسي المسلمون في طريقهم للاستقرار في واغادوغو، حاملين معهم الذهب والكولا وجوز الهند والملح إلى الشمال، وعن طريق هؤلاء التجار اليارسي وصل الإسلام إلى داغومبا، وهذا ما يفسر سبب وجود العلماء والفقهاء اليارسي في مملكة داغومبا الغربية خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/ ١٦ و١٧ ميلادي[١].

من جهة أخرى؛ لعبت بعض المراكز التجارية دوراً غايةً في الأهمية في عملية احتكاك التجار المسلمين اليارسي والديولا القادمين من منطقة الساحل (تنبكتو، جني) مع شعوب منطقة نهر الفولتا، ولعل أهم هذه المراكز هو مركز بيغو Begho التي كانت تقع على حواف الغابات التي يسكنها شعب الأكان، وهي أهم منطقة لتبادل الذهب والكولا وجوز الهند، كما أنها كانت تشكل آخر الطريق الذي يربط بين ممالك بونا Bouna، كونغ Kong، وبوبو ديولاسو Bobo dyulasso، في الجنوب، وجني في الشمال، وفيها كان التجار الديولا واليارسي المسلمون يتزوجون من النساء المحليين الوثنيين، وبخاصة بنات زعماء القبائل الوثنية، وكوّنوا أُسَراً ارتبطت بالجالية الإسلامية عن طريق الأب، وبالسكان المحليين الوثنيين عن طريق الأم، كما سمح للنسل الناتج عن هذا الزواج بأن يتزعموا في أغلب الأحيان تلك المجتمعات الغابية، ثم حملت السكان المحليين على اعتناق الإسلام، وقد اندمجوا مع السكان المحليين، حتى أصبحوا يعتبرون أنفسهم جزءاً من المجتمعات التي يعيشون بينها، سواء الداغومبا أو كونجا أو موشي، وهو ما جعل الإسلام ينتشر ابتداءً من هذه الفترة بشكل سلس وهادئ بين الداغومبا[٢].

وفي أواخر القرن الحادي عشر للهجرة/١٧م؛ تغيرت موازين القوى والعلاقات التجارية في منطقة الحوض الأوسط لنهر الفولتا[٣]، فقد انتقلت السيطرة على تجارة الذهب من البرتغاليين إلى التجار الهولنديين والدنماركيين والإنجليز، وتحولت الطرق التجارية أكثر نحو السواحل الغربية، بينما تراجعت التجارة مع ممالك الأكان في الغابات، وكذا تردت أوضاع الطرق المؤدية إلى جني وتنبكتو بسبب سقوط مملكة سنغاي على يد المغاربة[٤].

كما أن مركز الثقل السياسي في السودان الغربي خلال هذه الفترة عرف هو الآخر تحولاً من جاو وتنبكتو إلى كانم بورنو وبلاد الهوسا، فتحولت أيضاً الطرق التجارية الصحراوية باتجاه الشرق، كل هذا جعل اتجاه الطريق التجاري لسكان النهر الفولتا يتحول من الشمال الغربي إلى نحو الشمال الشرقي، فهذا التحول جعل التجار اليارسي الموجودين في عاصمة الداغومبا يندي داباري يحوِّلون طرقهم باتجاه الشرق، وخاصة إلى المراكز التجارية الخاصة بممالك الهوسا (نيجيريا)، وهي الطرق التي تمر ببلاد كونكومبا[٥] Konkomba، كما تبعهم الزعماء

(١) Ira M. Lapidus, A History of Islamic Societies, 2nd Edition, Cabridge university presse, 2002, p.411.

(٢) Ira M. Lapidus, Op.Cit, p.411.

(٣) Levtzion Nehemia, Godneff Nina, Op.Cit, p.727.

(٤) م. ابيتبول، نهاية إمبراطورية الصنغاي، في كتاب تاريخ إفريقيا العام، المجلد الخامس، صدر عن اليونسكو، طباعة حسيب درغام وأولاده، لبنان، ١٩٩٧م، ص٣٦٤.

(٥) الكونكومبا: هم إحدى شعوب إفريقيا الغربية، يعيشون اليوم أساساً في غانا وتوغو وبوركينا فاسو، ولقد استقروا قديماً على طول الحدود الفاصلة بين غانا وتوغو، على ضفاف نهر أوتي الذي يُعدّ أحد روافد نهر الفولتا الأسود، تمتد بلادهم إلى غاية تلال باسار وكوتوكولي، ويجاور

الداغومبا الذين سيضطرون شيئاً فشيئاً لترك عاصمتهم القديمة يندي دابـاري مدفوعين بضغط من الكونجا[1] Gonja الذين انطلقوا من عاصمتهم ياغبوم Yagbom، وشنوا غارات عليهم[2] ليحتلوا جزءاً من بلاد كونكومبا- التي ستتحول فيما بعد إلى داغومبا الشرقية-، وبالتالي قرر الداغومبا وضع مركزهم السياسي في هذه المنطقة التي يمر بها الطريق المؤدي إلى بلاد الهوسا[3]، وهو ما يجعلهم أكثر احتكاكاً بالتجار المسلمين الهوسا.

وفي الوقت الذي كان الداغومبا يعانون فيه من غارات الغونجا؛ ظهر فيهم زعيمٌ شاب اعتلى عرش مملكتهم، فغيّر تاريخهم، وأحدث ثورة دينية إسلامية في مملكة الداغومبا.

ب - زنجينا أول ملك من داغومبا يعتنق الإسلام:

قبل أن يعتلي عرش المملكة نا زنجينا Na Zangina؛ كانت مملكة الداغبون (داغومبا) تعرف صراعاً كبيراً بين الأمراء حول الوصول إلى العرش كلما توفي أحد ملوكها، وكانت هذه الصراعات في كثيرٍ من الأحيان دموية، فمثلاً بعد وفاة الملك نا زوكولي Na Zokuli (١٦٠٩-١٦٢٧م) اندلع هناك صراع دموي بين اثنين من أبنائه من أجل خلافته على العرش، وفي الأخير تم إخضاع الأمر إلى المشاورة بين أهل الحل والعقد، حيث أدت المشاورات إلى اختيار نا كونغوبلي Na Gungobli (١٦٢٧-١٦٧٧م) ملكاً على الداغومبا. ولكن بعد وفاة نا كونغوبلي اندلع صراعٌ آخر بين أبنائه لخلافته على عرش الداغومبا، وهنا قرروا الخضوع لقرارات مشاروات ملك المامبروسي، لكون مؤسس ملك المامبروسي هو الأخ الأكبر لسيتوبو مؤسس مملكة الداغومبا، ولهذا فالداغومبا يعتبرون المامبروسي إخوانهم، وعلى هذا الأساس قبلوا بمشورة ملكهم وتحكيمه، بعد مشاورة ملك مامبروسي نا أتابيا Na Atabia اختار هذا الأخير أصغر المنافسين على عرش داغومبا في ذلك الوقت، وهو نا زانجينا (١٦٤٨-١٦٧٧م) ليصبح ملكاً على الداغومبا[4].

لما اعتلى زنجينا عرش داغومبا استمرت اعتداءات الغونجا على مملكتهم، بل وصلت اعتداءاتهم إلى غاية منطقة سانغ على بُعد ٢٠ ميلاً (حوالي ٣٠ كم) من عاصمتهم القديمة يندي، وهنا قام الملك نا زنجينا بإطلاق نداء يطلب فيه من زعماء الداغومبا الانضمام إليه من أجل الدفاع عن المملكة، لكن عدد من الأمراء رفضوا الانضمام إليه، بينما قام أحد الأمراء

بلادهم من الجهة الغربية مملكة الداغومبا. انظر:
Izard Michel. D. Tait, The Konkomba of Northern Ghana. In: L'Homme, 1962, tome 2 n°2. pp.137-139. -www.persee.fr/doc/hom_0439 num_2_2_366493_1962_4216

(١) الكونجا: هي مملكة تقع في شمال جمهورية غانة الحالية، كما تُطلَق على الشعب الذي يسكن هذه المملكة، ولقد تأثر الكونجا بشعبي الأكان وشعب المالندي حتى بشعوب الهوسا والسونغاي، وقطعوا نهر الفولتا الأسود وأسسوا مدينة ياغبوم Yagbum، ثم مملكة الكونجا التي أسسوها خلال القرن ١٦ ميلادي في منطقة ممتدة من غابات السافانا إلى غاية الغابات الاستوائية، وكان وصولهم إلى المنطقة قادمين من منطقة جني مع الغزو المندي من أجل السيطرة على تجارة الذهب ومناجم الذهب لمنطقة بونا وبيغو. وبعد تلك الغارات عوض أن يرجعوا إلى مالي قام محاربوهم بقطع نهر الفولتا الأسود وأسسوا المنطقة التي عُرفت فيما بعد بكونجا، وذلك بعد سلسلة من الحروب والغارات جعلت الداغومبا يغادرون مضاربهم القديمة. انظر: نورالدين شعباني، الديولا ودورهم في نشر الإسلام في منطقة الغابات الإفريقية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مجلد٢، عدد٣، سنة ٢٠١٤م، ص (٨-٢٧).

(٢) م. إيزار وج. كي-زربو، من النيجر إلى الفولتا، ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام، مجلد٥، مرجع سابق، ص٣٧٤.

(٣) Levtzion Nehemia, Godneff Nina, Commerce et islam chez les Dagomba du Nord-Ghan, Op.Cit, p.728.

(٤) Mustapha Abdul-Hamid (University of Gold Cost), Islam Politics and developement and negotiating, The futur of Dagbon, Op.Cit.

من أبناء عمومة زنجينـــا بقيادة جيش الداغومبا نحو انتصار كاسح على الغونجا. وهنا بدأ التأثير الحقيقي للإسلام على مملكة داغومبا، وذلك باعتلاء الملك نا زنجينا الإســـلام على يد أحـــد الفقهاء الفلانيين من بلاد الهوســـا يُســـمى محمد الكشـــناوي[١]- حسبما تذكره بعض الروايات، والذي منحه اسم «محمد» بعد إسلامه، وأصبح يُسمى «محمد زنجينا»، كما تم تعيين الفقيه الشيخ ياموسى ساغياردو الونغاري إماماً على المســـجد، وبذلك يكون «نا زنجينا»، الذي ســـاد بين ١٧٠٠ و١٧١٤م، هـــو أول ملك مـــن الداغومبا يعتنق الإســـلام، وبالتالي يمكننا أن نعتبر ســـنة ١٧٠٠م هي سنة بداية التاريخ الرسمي للإسلام في داغومبا[٢].

إن هذه الحادثة تظهر لنا جلياً تأثير التجار الهوسا في أسلمة مملكة داغومبا، ولكننا يجب ألا ننكر تأثير طائفة اليارســـي أيضاً، التي كان لها دور أساسي من قبل في أســـلمة ملوك الموســـي في واغادوغو، حيث تذكر الروايات الشفوية أن نا زنجينا كان له اتصالات منـــذ مدة طويلة قبل إســـلامه مع رجل مـــن التجار اليارسي كان مستقراً بمملكة داغومبا يُدعى سابالي-يارنـــا[٣] Sabali-Yarna، وتعني (القائد ســـابالي)، أي أنه كان زعيم التجار اليارســـي، والذي يُعدّ عميد التجار اليارســـي في داغومبا[٤]، علماً بأن هذا الرجل كان فقيهـــاً ينتمي إلى عائلة باغايوغـــو («بغيغ» عند السعدي ومحمود كعت)، وهي إحدى البيوتات العلمية في مدينتَي تنبكتو وجني، حتى الإمام الذي كان يرافق ملك واغادوغو المسلم مورو-نابا كان ينتمي إلى نفس هذه العائلة[٥].

إن الملـــك زنجينا كان يعيـــش مرحلة من العزلة بسبب حروبه مع الغونجا من جهة، وكذا منافسة بعض الأمراء له، والذين كانوا يرون أن تعيينه من طرف ملك المامبروسي يُفقده شرعية عرش الداغومبا[٦]، لذلك كان عليه أن يتقرَّب إلى المســـلمين اليارســـي، وعلى رأسهم سالابي- يارنا.

ولقد كان الملك زنجينـــا أول ملك من الداغومبا يعلن إســـلامه، ويقـــوم بعملية الاختتـــان، وقام ببناء مســـجد في مدينة ســـاباري في شـــمال غرب غانا الحالية، وعيّن الإمام (ياموســـا ساغياردو) إماماً لهذا المسجد. وتذهب مصادر أخرى إلى أن اعتناق الملك زنجينا الإسلام كان على يد ياموسى ساباري، إذ تروي هذه المصادر قصة اعتناق الملك زنجينا الإسلام على

(١) هو محمد بن مسنه الكشناوي: وُلد حوالي سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م، اسمه الكامل هو أبو عبد الله محمد بن مسنه بن غوما بن محمد بن عبد الله بن نوح البرنوي الكشناوي. فقيه إفريقي، ينحدر أصله من بلاد الهوسا، وخاصة من إمارة كاتسيا التي يُطلَق عليها الفلاني اسم «كشنا»، وإليها يُنسب اسمه «كشناوي»، ترك العديد من المؤلفات، نذكر منها: (اللطيف المنظوم وليس فيه حرف منقوط)، (البزوغ الشمسية في شرح العشماوية)، (تزيين العصا وضرب هامات من عصى)، (عين الخلاص في تلاوة سورة الإخلاص)، و(شفا ربا في تحرير فقهاء يوروبا) وغيرها. لقد كان الشيخ مسنه الكاتسيني (نسبة إلى كاتسينا، وهو إقليم في نيجيريا) الأصل فقيهاً مرموقاً، استحق أن يكون مستشاراً للسلطان في أيامه، وما زالت أسرته تحمل اسمه إلى اليوم.

(٢) Dr. M. Sey (Department of Religious Studies, University of Cape Cost), Muslim Community, in Ghana, The Contemporary Scene, Jurnai Syariah, N 5, Bilangan 2, p250. https://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.930.3364&rep=rep1&type=pdf

(٣) يارنا Yarna : هو لقب اتخذه اليارسي لزعمائهم، وتعني: زعيم اليارسي، فهي كلمة مركبة من كلمتين، هما: يار (Yar)، وهي اختصار لكلمة يارسي، ونا (Na)تعني: زعيم أو حاكم.

(٤) Levtzion Nehemia, Godneff Nina, Commerce et islam chez les Dagomba, Op.Cit, p.731.

(٥) Andreas W. Massing, “Baghayogho”, Cahiers d’ŏtudes africaines [Online], 176 | 2004, Online since 17. April 2008, connection on 17 June 2020. URL: http://journals.openedition.org/etudesafricaines/4850 DOI: https://doi.org/10.4000/etudesafricaines.4850

(٦) Levtzion Nehemia, Godneff Nina, Op.Cit, p.732.

يد الفقيه ياموســـا زعيم مدينة ســـاباري، حيث تقول بأنه فتح باب المســـجد للملك زنجينـــا ثم طلب منه أن يدخل، ولما دخل زنجينا المســـجد أخذ ياموســـا المصحف الشريف ووضعه في يد زنجينا، الذي أخذ المصحف وسجد سجدة باتجاه بلاد الهوسا، وسجدة باتجاه بلاد الأشانتي، وسجدة باتجاه بلاد الموشي[١].

ومهما يكن الشخص الذي أسلم على يديه الملك زنجينا؛ فإن كلاهما يُعدّ فقيهاً، وكلاهما زعيم لطائفته الموجودة في داغوما، كما أن ياموســـى ساباري الذي يُعدّ زعيماً وعميداً لطائفة اليارســـي في داغومبا كان أحد مريدي الشـــيخ الفقيه محمد الكشناوي الذي لم يكن فقط زعيماً للمســـلمين الهوسا في داغومبا، بل زعيماً لكل المســـلمين في مملكة داغومبا. كما عرف عهد زنجينا شخصية إسلامية ثالثة كان لها دورٌ كبير في نشر الإســـلام في المملكة، ألا وهو «لا، أبان-نا» La' Aban-Na، وهو زعيـــم قرية «لا-أبانغا» La-abanga الواقعة وراء نهر «أوتي»[٢]، فتضافرت جهود هؤلاء الفقهاء الثلاثة لنشـــر الإســـلام في داغومبا، وخاصة في محيط الملك نفسه.

ج - الإسلام في داغومبا بعد الملك زنجينا:

في عـــام ١٧١٣م؛ تعرضـــت داغومبا لضغوطات متزايدة من طـــرف الكونجا، ولم يكن «نـــا زانجينا» قادراً على حشـــد شـــعبه لمقاومة هذه الاعتداءات، فأطلـــق نداءً إلى زعماء قبائـــل الداغومبا يطلب فيه منهم الانضمام إلى جيشـــه لرد اعتـــداءات الكونجا، لكنهـــم تخلوا عن زنجينا، إلا ابـــن عمه أندّاني زيغلي Andani Zighli، الـــذي كان الوحيـــد الـــذي لبَّى النداء، وأظهر اســـتعداده لقيادة جيش داغومبا ضد الغونجا بشـــرط أن يتخلى زنجينا عن العرش، فوافق هذا الأخير علـــى ذلك، ونجح أنداني زيغلي في قيادة الجيـــش إلى الانتصار على الغونجا، وبذلك أصبح هو الملك الجديد لمملكة داغبون (داغومبا)، وأُضيف له لقب «نا» Na، حيث أصبح يُلقب بـ«نا أنداني زيغلي»، أي: الملك أنداني زيغلـــي[٣]، لكن هذا الملك بالرغم من إســـلامه فإنه لم يكن متحمِّساً كثيراً للإسلام مثل سابقه، لكن الإسلام اســـتمر في الانتشار في مملكة داغومبا بفضل مجهودات التجار اليارســـي والديولا، الذيـــن عُرفوا بالإمامـــات، أو الشـــيوخ، الذين كانت تربطهم علاقات جيـــدة بالقصر الملكي، وكان عملهم يرتكـــز على التعليم، خاصة بعدمـــا تقربوا من ملوك الداغومبا وتصاهروا معهـــم وزوجوهم أبناءهم مثلما حدث مع زعيم اليارسي يار-نابا Yar-Naaba الذي ينحدر أصله من منطقة غامباغا Gambaga[٤].

ولقد كان هؤلاء الشـــيوخ الأئمة يشـــكلون دعامة لنظام الحكـــم في عهد الملك أداني زيغلي، وعهد من جاء بعده، حيث أصبح منصب الإمامة أو المشـــيخة منصباً سياســـياً أكثر منه دينياً، لما أصبح يتوفر عليه من صلاحيات في حكم المقاطعات وتســـييرها، وكان منصب الإمـــام لا يُعطى إلا لأكثر الناس علماً وتقوى، ولم يكن يخضع لمبدأ الوراثة[٥].

وعلـــى الرغم من أن الملـــوك الذين تعاقبوا على عرش داغومبا لم يكونوا متحمســـين للإسلام فإنهم وجـــدوا في الإســـلام والأئمة المســـلمين أكبر دعم لحكمهم، فقد ظهر تأثيرهم جلياً في أســـلمة الحياة العامـــة للشـــعب الداغومبي، حيث ظهـــرت العادات والتقاليـــد الإســـلامية بشـــكل جليّ، إلـــى درجة أن

(١) Andreas W. Massing, Baghayogho, Op.Cit.

(٢) Levtzion Nehemia, Godneff Nina, commerce et islam..., Op.Cit, p.732.

(٣) Peter Tia and helpers and Abukari Yakubu, Dagomba, Accra, Ghana, 2007, p.4.

(٤) Junzo Kawada, Genese et dynamique de la royautй: Les Mosi mйridionaux,Editions L'Harmattan, Paris, 2003, p.39.

(٥) Dr. M. Sey, Muslim Community, in Ghana, Op.Cit, p.251.

قنصل بريطانيا في غانا سنة ١٨٢٠م جوزيف دوبوي Joseph Depuis، وبناءً على شهادة أحد التجار في العاصمة يندي، صنف مملكة داجبون (داغومبا) من بين الحكومات الإسلامية البحتة في غرب إفريقيا، وأنها تطبق القانون القرآني (الشريعة الإسلامية)، رغم أن القانون المدني لحكومة الداغومبا كان يراعي خصوصية السكان المسلمين والوثنيين على حدٍّ سواء، حتى أسماء الأشخاص ومراسيم الزواج والجنازات كانت تحمل تأثيرات إسلامية واضحة[١].

٥- مظاهر انتشار الإسلام في داغومبا:

أ - مظاهر أسلمة المجتمع الداغومبي:

إن الإسلام في مملكة داغومبا كان يسير بوتيرة بطيئة جداً، وعلى الرغم من أن هناك عدة مظاهر للإسلام، التي جلبها التجار اليارسي حتى التجار الهوسا المسلمون الذين تمركزوا في مملكة داغومبا، والتي كانت تظهر في بعض العادات والممارسات وأسماء الأشخاص، فإن الأثر الكبير للإسلام لم يظهر إلا بعد اعتناق الملك زنجينا الإسلام، حيث بدأت العادات الإسلامية تفرض نفسها في هذه المملكة بشكلٍ ملفت جداً[٢]، فقد أصبحت الحكومة تحكم بالشرع الإسلامي، على الرغم من بقاء بعض المقاطعات التي احتفظت بالقوانين الوضعية الوثنية.

كما فتح محمد زنجينا مملكته على مصراعيها أمام التجار والمهاجرين المسلمين، بل شجعهم على الهجرة إلى مملكته، فلقد وصف تاجر من فزان- اسمه الشريف امحمد- هذه المملكة الإسلامية بأنها كان يسودها التسامح الديني، وأن المسلمين والوثنيين كانوا يعيشون جنباً إلى جنبٍ مختلطين، وأنهم كانوا يرعون ماشيتهم في نفس الجبل، وفي المساء يعودون إلى بيوتهم في نفس القرية.

وهناك شهادة أخرى قدّمها أحد الفقهاء من تنبكتو، يُدعى الشيخ أبو بكر بن علي كوناتي، الذي يقول إنه استقر أولاً في منطقة كودوغو[٣] Kudugu في واغادوغو؛ قبل أن يواصل سيره باتجاه الجنوب من أجل أن يزور أحفاده وأحفاد مرافقيه، حيث وجد هناك عدة قرى صغيرة يحكمها أئمة، يُطلق عليها (إمامات)، فالشيخ سليمان بكايوكو والشيخ أبو بكر كوناتي، قامَا بتجسيد المبادئ الإسلامية من خلال كتاب أسمياه (كتاب السفر)، حيث يشرحان فيه خصائص الشريعة الإسلامية، وأهداف التوغل داخل الأراضي البعيدة في إفريقيا[٤].

وعلى الرغم من التسامح الديني الذي كان يحظى به سكان المملكة؛ فقد ظهر هناك تقسيم جديد للمجتمع على أساس الدين، فهناك المسلم وهناك الكافر، حيث ما زالت إلى يومنا هذا كلمة «شفيرا» Chefira، وهي تحريف لكلمة «كافر» العربية، بينما يقسّم الداغومبا المسلمين إلى ثلاثة مستويات من حيث الالتزام بالإسلام، فهناك أولاً طبقة «أفانيما» Afanema، أي أولئك الذين لديهم معرفة بالقراءة والكتابة في الإسلام وباللغة العربية، ومن ثَمّ كانت تُوكل إليهم مهام رئاسة مراسم الولادة والزواج والجنائز. وهناك طبقة «المصلين»، وهم مسلمون عاديون مواظبون على أداء الصلاة، التي تُسمى «جينغ بوهريبا» jing puhriba، وتعني «أولئك الذين يصلون». وأخيراً طبقة تُسمى داغبان

(١) Mustapha Abdul-Hamid, Islam, Politics & Development: Negotiating the Future of Dagbon, Op.Cit, p.2.

(٢) Mustapha Abdul-Hamid, Op.Cit, p.2.

(٣) كودوغو Koudougou: مدينة في مقاطعة بولكيمدي في بوركينا فاسو. تقع على بعد ٧٥ كم غرب «واغادوغو» عاصمة بوركينا فاسو.

(٤) Nehemia Levtzion, Randall Pouwels, The History of Islam in Africa, Ohio University Press, Oxford, united states of America, 2000, p.100.

دابا Dagbang dabba، وهم أولئك الذين ينتمون إلى الإسلام بالاسم فقط، والذين ما زالوا يشاركون بنشـــاط في الطقوس التقليدية الوثنية على الرغم من إعلانهم الإسلام بالشهادة[١].

أما بخصوص العادات الإســـلامية التي عرفها مجتمع الداغومبـــا؛ فهي حفـــلات المولد النبوي الشـــريف، والتي تُســـمى عندهم بحفلة «الدامبا» Damba، ولقد اشتُقت كلمة «دامبا» من كلمة «داما» Damma التـــي مصدرها من لغة قبيلة الداغبان، وتعني «أننا سنجتمع جميعاً»[٢]. وأصبحت احتفالات الدامبا أهم الاحتفالات الوطنية في داغومبا، ولقد كانت هذه الاحتفالات تتـــم بطريقة إفريقية بحتة، حيث يتـــم فيها طبخ كمية كبيرة مـــن الأرز، ويقوم الناس الحاضـــرون بالرقص، ويقـــوم أحد النبلاء المســـلمين بتوجيه هذه الاحتفالات، يُلقَّب بـ«يدان مول» Yidan Mole، ويُعدّ هو نفسه المسؤول عن الطقوس الجنائزيـــة الملكية[٣]، وفي هذا اليوم يتم تنظيف المدينة، وكل الناس يغتسلون ويلبسون أجمل وأنظف الثياب وأغلـــى المجوهرات التي يملكونها، كما أنها مناســـبة للاحتفال وتبادل الهدايا، وإطلاق النار بالبنادق، وعرض رقصات المحاربين، وتخليد مآثر الحرب والمحاربين، وتتحول ساحات الاحتفال إلـــى ســـاحة تدريب للشـــباب وإظهار الشـــجاعة والبراعة في القتال، وتكون التدريبات على الرقص خلال الأيام والليالي العشـــرة الأولى لظهور شـــهر ربيع الثاني[٤].

ومن بيـــن الآثار التـــي أدخلها الإســـلام إلى المجتمـــع الداغومبي عملية الاختتـــان، حيث تتم هذه العلمية في ســـن الســـابعة أو الثامنة من عمر الطفل، ويخضع لعمليـــة الختان هذه كل المولودين الجدد، سواء كانت عائلاتهم مسلمة أو وثنية، بحيث كان يقوم بها الحلاقـــون الذين كانوا يقومون بحلق رؤوس المولوديـــن الجدد أيضاً في اليوم الثامن من ميلادهم[٥].

كما انتشـــرت في داغومبا صلاة الجمعة التي كان يشرف عليها رجل من النبلاء لديه دراية واسعة بالإسلام، وهو الزعيم الروحي للجالية المسلمة في العاصمة يندي، وحامي الشـــريعة الإسلامية، فلقد كان يُعيَّن من طرف الملك نفســـه، لكنه لم يكن لديه أي دخل في شـــؤون الحكـــم، وكان يقوم بدور إمام صلاة الجمعة وصلاة العيدين، وأيضاً دور القاضي الذي يحكم بين المسلمين، فلقد تحولت الإمامة إلى وظيفة في نهاية القرن١٧م عند الداغومبا[٦].

ب - مظاهر التأثير في النظام السياسي:

بعـــد انتصار زنجينا على الغونجا نقل عاصمته الجديـــة إلى يندي، وهنا أخذت الجالية المســـلمة تلتـــف حول قصره من أجل خدمته، حيث قام زعيم الجالية الهوسية في داغومبا الملقب بـ«كامش-نا» Kamshe-Na بإرســـال ابنه إلـــى العاصمة يندي مـــن أجل خدمة الملك المســـلم، ومنذ ذلك الحين أصبح ابنه وأحفاده من بعده يتمتعون بلقب «والغو-نا» Walgu-Na، ويُعرفون أيضاً بلقب أئمة القصر «نايري-ليمام» Nayiri-limam، حيث يأتون إلى

(١) Mustapha Abdul-Hamid, Op.Cit, p.2.

(٢) Jonathan Quarmson Valley, View University, DAMDA FESTIVAL AMONG THE NORTHERN REGION OF GHANA Article in IEEE Transactions on Automation Science and Engineering · October 2019.

(٣) Levtzion Nehemia, Godneff Nina, commerce et islam..., Op.Cit, p.733.

(٤) Jonathan Quarmson Valley, Op.Cit, p.23.

(٥) Levtzion Nehemia, Godneff Nina, commerce et islam..., Op.Cit, p.733.

(٦) Ibid, p.734.

الملك مـــن أجل أن يقدموا لـــه التبريكات، كل يوم جمعـــة وفي المناســـبات الدينية، فلقـــد كان إمام القصر يســـكن في حي المسلمين بالعاصمة يندي، وعندما يأتي لمقابلة الملـــك كان يرافقه مجموعة من النبلاء المسلمين من بينهم واحد منهم يكون من أقارب «لا أبان» الذي كان من الشـــخصيات الأولى التي نشرت الإســـلام في داغومبا، وكانت وظيفته هي تغسيل جثمان الملك الذي يتوفى، ويُطلق عليه لقب «يدان-كمبـــارا» Yidan-Kambara، وهو رجل يحظى بكثيرٍ من الاحترام والتقدير من طرف الملك، وإلى جانبه يوجد نبيلٌ مسلم آخر يُطلق عليه لقب «مداحا-نـــا» Madaha-Na، وتعني «مداح الملك»، وهو مكلف بإنشاد المدائح المخلِّدة لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم[١].

وبهذا نســـتنتج أن مركزية الحكم النســـبي في داغومبا ســـمحت هي أيضاً بانتشـــار الإســـلام في المملكـــة، كما ســـمح التقســـيم الاداري للملكة إلى مشيخات وقرى للملك بجعل رجال الدين متواجدين فـــي كل مكان من ربـــوع المملكة، كمـــا أصبح أبناء زعمـــاء القبائل الوثيين الذين لم يكن لديهم حظوظ في مناصب حكم يعتنقون الإســـلام، وأصبح زعماء القبائل يزوجون بناتهم من المسلمين حتى يتقربوا من الجالية المسلمة التي أصبح لها نفوذٌ في المملكة[٢]، وهذا الأمر ساهم في إسلام زعماء القبائل والقرى.

يبدو أن اعتناق الملك زنجينا للإسلام كان يدخل في إطار دعم دولته، التي كان يرى في اعتمادها على الجالية المســـلمة ضرورة ملحَّة، حيث يذهب المؤرخ البريطانـــي إيفور ويلكـــس Ivor Wilks[٣] إلى أن الملك زنجينا اعتنق الإسلام؛ لأنه رأى أن رجال الدين المســـلمين كانت لديهم القدرة علـــى إحداث التنمية لدولة داغبون (داغومبا)، فحسب المؤرخ نفسه: فإن الفقيه الذي حوَّل زنجينا إلى الإسلام طلب منه زنجينا لما دعاه إلى الإســـلام أن يدعو الله أن يبني مملكته، وأن تكون متحدة مثل الطين، وطلب منه أن يدعو الله بتأمين رحلات المسافرين داخل مملكته، ويحقق لهم وجهاتهم[٤]، وبهذا نرى أن مسألة إسلام الملك كانت مسألة إستراتيجية بالنسبة لدولة الداغومبا.

إن إســـلام الملك جعل مملكـــة داغومبا تنتقل إلى الاعتماد على قوانين الشـــريعة الإسلامية بدل الأعراف الوثيـــة، حيث كان القضـــاء يحكم وفق المذهب المالكي[٥]، كما ظهرت طبقة من المتعلمين الذين كانوا يحســـنون القراة والكتابة عُرفوا باسم ألفا (ألفع)[٦].

ج - أثر الإسلام في الحياة الاقتصادية:

لقد عرفت مملكة الداغومبا مع دخول الإسلام وجود إثنيات وطوائف مختلفة مثل: اليارسي والهوسا والفلاتـــة، الذين توغلوا في المجتمـــع الداغومبي وأصبحـــوا جزءاً لا يتجزأ منه، مثلما انتشـــروا في كل مناطق ضفاف نهر الفولتا، ولقد كان اليارســـي تجاراً مســـلمين يمارســـون التجارة ذات المسافات الطويلـــة في أدغال إفريقيـــا، ولكنهم أيضاً أدخلوا علـــى المجتمع الداغومبي بعض الحِرَف والمهارات

---

(١) Ibid, p.734.

(٢) Ira M. Lapidus, A History of Islamic Societies, Op.Cit, p.413.

(٣) إيفور ويلكس Ivor Wilks: هو أستاذ بريطاني ومؤرخ في الشؤون الإفريقية، تخصص في تاريخ غانا الحالية (ساحل الذهب سابقاً)، وُلد سنة ١٩٢٨م، ولقد اعتُبر مؤرخاً مميزاً ومرجعاً للطبقات العمالية، كما اعتبرته مملكة الأشانتي المؤرخ الرسمي لها، لديه العديد من الدراسات والمؤلفات حول تاريخ شمال غانا والأشانتي والغونجا والداغومبا وانتشار الإسلام في منطقة نهر الفولتا وشمال غانا، تقلد منصب أستاذ فخري في جامعة نورث وسترن في إلينوي بالولايات المتحدة الأمريكية.

(٤) Mustapha Abdul-Hamid, Islam Politics and developement and negotiating, The futur of Dagbon, Op.Cit, p.4.

(٥) Ira M. Lapidus, Op.Cit, p.411.

(٦) Levtzion Nehemia, Godneff Nina, p.738.

التي لم يكونوا يعرفونها مثل زراعة القطن وحياكته، كما أن التجارة مع الهوسا المسلمين الذي كان أجدادهم قد تمركزوا في المنطقة قبل الكونجا قد عادت بالنفع على المجتمع الداغومبي من خلال الرفاهية التي جلبها النشاط التجاري، بالإضافة إلى الدور الذي لعبه المعلمون الهوسا الذين كانوا يرافقون القوافل التجارية، وكانوا يتعمدون التمركز بالقرب من الزعماء الوثيين، ويطلبون بناتهم للزواج ويزوجون أولادهم ببنات الزعماء الوثيين، مما جعل تأثيرهم الاجتماعي يكون أكثر، كما جلب التجار الهوسا معهم الأقمشة والملابس والثياب الفاخرة التي كانوا يستبدلونها بالكولا وجوز النخيل[١].

خاتمة:

إن انتشار الإسلام في شمال غانا ومنطقة داغومبا تم بمجهودات فردية؛ وذلك عكس ما كان يحدث في مناطق أخرى من غرب إفريقيا أو حتى في منطقة الفولتا نفسها، فلو رجعنا إلى قضية الفقيه «محمد الكشناوي» الذي التقى الملك زنجينا، وكذا «ياموسا ساباري»، ندرك أنهما كانَا فردَيْن يعملان من تلقاء نفسيهما لنشر الإسلام في المنطقة، ونفس الشيء بالنسبة لمعلم القرآن «نينو» الذي جاء من كاتسينا في بلاد الهوسا ليستقر في شمال غانا، حتى صلاة الجمعة في البداية بدأها أفراد، حتى خلال القرن التاسع عشر قام الشيخ «عمر كيتا كراشي» بنشر التعليم الإسلامي في البلاد إلى غاية وفاته سنة ١٩٣٤م، وما تزال أعماله تحظى بتقدير كل الداغومبا الوثيين إلى غاية اليوم[٢]، لكن بعدما انتقل الإسلام إلى القصر الملكي تحوّل الإسلام إلى قضية كل الشعب، فأصبح كل المجتمع الداغومبي

على الرغم من أن الملوك الذين تعاقبوا على عرش داغومبا لم يكونوا متحمسين للإسلام فإنهم وجدوا في الإسلام والأئمة المسلمين أكبر دعم لحكمهم

يعمل على نشر الإسلام.

إن الإسلام في مملكة داغومبا لا يختلف عن وضعية الإسلام في منطقة نهر الفولتا عموماً وبلاد الموشي خاصة، حيث كان السبب المؤثر في نشره وترسيخه بين تلك الشعوب يعود إلى طبقة التجار المتنقلين المعروفين عند المالنكي باسم «الديولا» وعند الموسي باسم «اليارسي»، كما لا يمكن أن نغفل الدور الذي قام به بعد ذلك الكونجا، وبعض العائلات والبيوتات العلمية الإسلامية مثل عائلة باغيغ (بكايوكو) من تنبكتو، الذين كان لهم دورٌ كبير في نشر الإسلام في الحوض الشرقي لنهر الفولتا، وعائلة كاماغات Kamaghate التي تنتمي إلى عشيرة الدياخنتي في غانا القديمة، والتي كان لها دورٌ مشهود في نشر الإسلام في الحوض الغربي لنهر الفولتا[٣]، دون أن ننسى المجهودات التي قام بها التجار المسلمون القادمون من الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا كجني وتنبكتو وبلاد الهوسا ■

(١) Junzo Kawada, Genese et dynamique de la royautй, Op.Cit, pp.39, 40.

(٢) M. Sey, Muslim Community, in Ghana, Op.Cit, p.253.

(٣) Andreas Walter Massing, "Imams of Gonja", Cahiers d'йtudes africaines [Online], 205 | 2012, Online since 03 April 2014, connection on 13November2020.URL: http://journals.openedition.org/etudesafricaines/16965